The Word for Today	الكَلِمَة لِهَذا اليَوم
Job 14:1-16:22	أيُّوب 14: 1 16: 22
#550	الحلقة الإذاعيَّة رقم: 860
Pastor Chuck Smith	الرَّاعي تشَك سميث

[المقدِّمة]

(مقدِّمُ البرنامَج)

أعزَّاءَنا المستَمعينَ، أهلًا بكُمْ في حلقةٍ جديدةٍ من البرنامجِ الإذاعيِّ ''الكلمةُ لِهَذا اليَوم''، حيث سنُتابِعُ في هذه الحَلَقةِ بنعمةِ اللهِ المحبِّ دراستَنا في سِفرِ أيُّوبَ من إعدادِ القسِّ تشَك سميث.

في الحلَقةِ السابِقةِ من برنامَجِنا، استعرضَ القسُّ تشَك ردودَ أيُّوبَ على انتقاداتِ أصحابِه، الذين كانوا متَسَرِّعينَ في توجيهِ اللَّومِ إلى صاحبِهِم أيُّوبَ على ما وصلَ إليه حالُه من مشقَّاتٍ بائسة.

وفي حَلَقةِ اليومِ من برنامَجِ ''الكلمةُ لِهذا اليوم''، سوف نرى أنَّ أيُّوبَ لا يزالُ متمسِّكًا بثقتِه باللهِ المحبِّ، حيثُ يتوجَّهُ إلى الربِّ بالصلاةِ طالبًا أن يخلِّصَه من مصائِبِه، كما يعبِّرُ عن تَوقِه لأنْ يسمَعَ استجابةً من اللهِ الحنَّانِ.

إذا كانَ لدَيكَ كِتابٌ مقدَّسٌ، فنَرجو أن تفتَحَه على الأصحاحِ الرابعَ عشرَ من سِفرِ أيُّوبَ، وابتداءً من العددِ الأوَّلِ. أمَّا إذا لم يَكُنِ الكتابُ المقدَّسُ معَكَ الآنَ، فنرجو أن تُصْغِيَ، عزيزي المستَمِع، بروحِ الصَّلاةِ والخُشوعِ بَينما يقدِّمُ إلينا القسُّ تشَك درسًا جديدًا من سِفرِ أيُّوبَ.

[متن العِظة القسُّ تشَك]

نبدأ أعزَّاءَنا المستَمِعين في حلَقة اليومِ من برنامَجِ ''الكلمةِ لِهَذا اليوم'' دراستَنا في سفرِ أيُّوبَ، من الأصحاحِ الرابعَ عشرَ، والعددَينِ الأوَّلِ والثاني، وجاء فيهِما:

''الإنسانُ مَوْلودُ المَرأةِ، قَليلُ الأيَّامِ وشَبعانُ تعَبًا. يَخرُجُ كالزَّهرِ ثُمَّ يَنحَسِمُ ويَبرَحُ كالظِّلِّ ولا يَقِفُ''.

نرى هنا، مستَمِعيَّ الأعزَّاء، طريقةً متشائمةً للنَّظَرِ إلى الحياةِ، فهو يقولُ أيُّوبُ إنَّ الإنسانَ يولَدُ من أمِّه، ويعيشُ أيَّامًا قليلةً لكنَّها ملآنةً بالأتعابِ. ثمَّ يشبِّهُ الْحَياةَ بالزَّهرِ الذي يتفتَّحُ حينًا، ثمَّ يذبُلُ ويموتُ بعدَ زمنٍ قليلٍ.

ونتابِعُ ما قالَه أيُّوبُ في الأعدادِ من الثالثِ إلى التاسِعِ من الأصحاحِ الرابِعَ عشرَ، والتي نقرأُ فيها:

''فعلَى مِثلِ هذا حَدَّقتَ عَينَيكَ، وإيَّايَ أحضَرتَ إلَى المُحاكَمَةِ معكَ. مَنْ يُخرِجُ الطَّاهِرَ مِنَ النَّجِسِ؟ لا أحَدٌ! إنْ كانتْ أيَّامُهُ مَحدودَةً، وعَدَدُ أشهُرِهِ عِندَكَ، وقَدْ عَيَّنتَ أجَلهُ فلا يتَجاوَزُهُ، فأقصِرْ عنهُ ليَستَرِحْ، إلَى أنْ يُسَرَّ كالأجيرِ بانتِهاءِ يومِهِ. لأنَّ للشَّجَرَةِ رَجاءً. إنْ قُطِعَتْ تُخلِفْ أيضًا ولا تُعدَمُ خَراعيبُها. ولَوْ قَدُمَ في الأرضِ أصلُها، وماتَ في التُّرابِ جِذعُها، فمِنْ رائحَةِ الماءِ تُفرِخُ وتُنبِتُ فُروعًا كالغِرسِ''.

يبدو أنَّ أيُّوبَ يتحدَّثُ الآنَ إلى اللهِ العليِّ قائلًا إنَّه ليسَ هناك رجاءٌ للإنسانِ؛ لأنَّ نهايَتَه أشبَهِ بنِهايةِ جِذْع مقطوع من شَجَرةٍ. ثمَّ يزيدُ أيُّوبُ المشهَدَ بُؤسًا بقَولِه إنَّ هناكَ رجاءً للجِذع المقطوع؛ لأنَّ براعِمَه قد تُنبِتُ من جديدٍ إذا وَصلَ إليها الماءُ، أمَّا الإنسانُ فلا رجاءَ له، فيُقطَعُ ويموتُ دونَ عَودةٍ إلى الحياةِ.

ونواصِلُ تأمُّلاتِنا في كلماتِ أيُّوبَ في الأعدادِ من العاشرِ إلى الثالثَ عشرَ من الأصحاح الرابعَ عشرَ، وجاء فيها:

''أمَّا الرَّجُلُ فيَموتُ ويَبلَى. الإنسانُ يُسلِمُ الرُّوحَ، فأين هو؟ قد تَنْفَدُ الْمِياهُ مِنَ البَحرَةِ، والنَّهرُ يَنشَفُ ويَجِفُّ، والإنسانُ يَضطَجِعُ ولا يَقومُ. لا يَستَيقِظونَ حتَّى لا تبقَى السماواتُ، ولا يَنتَبِهونَ مِنْ نَوْمِهِمْ. لَيتَكَ تواريني في الهاويَةِ، وتُخفيني إلَى أنْ يَنصَرِفَ غَضَبُكَ، وتُعَيِّنُ لي أجَلًا فتذكُرَني''.

يقولُ أيُّوبُ هنا إنَّه يتمنَّى الذَّهابَ إلى النِّسيانِ والهاوِيَةِ. إلَّا أنَّ علَينا أن نتذكَّرَ هنا أنَّ أيُّوبَ لا يعرِفُ ما يتحدَّثُ بشأنِه، ولا يُخبرُنا في الواقع بحقٍّ موحى به من السَّماءِ. ولا يجوزُ أن يؤخَذَ كلامُ أيُّوبَ هُنا عن المَوتِ كي نبنِيَ عليه عقائدِنا؛ فما يقولُه أيُّوبُ نابِعٌ من مَعرفَتِه وفَهْمِه المَحْدودَينِ، وهو يُعبِّرُ هنا عن أفكارِه التي يتصوَّرُها عن المَوتِ، وليسَتْ تلكَ الأفكارُ فعليًّا هي حقَّ الربِّ عن الموتِ.

ومن الواجِبِ هنا أن نقولَ إنَّ بِدعةَ شُهودِ يَهوه استَنَدتْ في عَقيدةِ نومِ النَّفس إلى ما جاءَ على لِسانِ أيُّوبَ، وقد أخطأوا في ذلك. ففي الأصحاح الثامِنِ والثلاثينَ من سِفرِ أيُّوبَ، يتكلَّمُ اللهُ العليُّ ويسألُ أيُّوبَ كما نقرأُ في العددِ الثاني:

''مَنْ هذا الذي يُظلِمُ القَضاءَ بكلامٍ بلا مَعرِفَةٍ؟''.

إذًا يؤكِّدُ الربُّ كلِّيُّ العِلمِ هنا أنَّ أيُّوبَ كان يتكلَّمُ بما لا يَعلَمُ. ثمَّ يتابِعُ اللهُ المجيدُ طَرْحَ الأسئلةِ على أيُّوبَ، ومن بينِها:

هل سبَقَ لأيُّوبَ أن وَصَل إلى ما بعدَ بوَّاباتِ المَوتِ؟ وهل يعرِفُ ما سيَجِدُه هناك؟ وما دامَ أيُّوبُ قد طلَبَ الموتَ والهاوِيةَ والنِّسيانَ، فهَل يَعرِفُ ما فيها؟ وهكذا وبَّخَ اللهُ العليُّ أيُّوبَ على كَلِماتِه التي نَطَقَ بها عنْ جَهْلٍ. وبناءً على ذلك، فمن الحِكمةِ ألَّا يستنِدُ المرءُ إلى كَلامِ أيُّوبَ ليؤسِّسَ عقيدتَه عن المَوتِ.

بعدَ ذلك يتساءَلُ أيُّوبُ في العددِ الرابعَ عشَرَ من الأصحاح الرابعَ عشرَ إنْ كانَتْ للإنسانِ حَياةٌ بَعدَ المَوتِ. والحقيقةُ هي أنَّ هذا أحَدَ الأسئلةِ الأساسيَّةِ الكامِنةِ عميقًا في حياةِ كلِّ إنسانٍ. فالأسئلةُ الأساسيَّةُ ضروريَّةٌ ليتلامَسَ الإنسانُ معَ الأمورِ الأهَمِّ في حياتِه.
وبالتأكيدِ ليسَ الكَلامُ هنا عمَّا سأتناوَلُه على العَشاءِ، ولا عن الحذاءِ الذي سأرتديه قبلَ الخُروج، ولا عن البَدلةِ التي سألبَسُها للعَملِ، بلِ الأسئلةُ العميقةُ هي كالتي يطرحُها أيُّوبُ هنا، وهي أسئلةٌ متجذِّرةٌ عميقًا في نفسِ كلِّ إنسانٍ، ولا سيَّما حينَما يموتُ شخصٌ عزيزٌ علَينا. فحينَما يموتُ الإنسانُ، تُطرَحُ أسئلةٌ مثل: هل هناكَ حياةٌ ما بَعدَ الموتِ أم أنَّ

الموتَ هو النِّهايةُ أو الفصلُ الأخيرُ في كِتابِ الحياةِ؟ هل هناكَ بُعدٌ تستمرُّ الحياةُ فيه ما بعدَ المَوتِ؟

ويُجيبُ يسوعُ المسيحُ في العهدِ الجديدِ عن سُؤالِ أيُّوبَ، وقَبْلَ يسوعَ لم يكُنْ لدينا جوابٌ شافٍ ووافٍ لهذا السُّؤالِ المُحَيِّرِ. لكنَّ يسوعَ أجابَ مَرْثا في حادثةِ إقامةِ لِعازَرَ في إنجيلِ يوحنَّا الأصحاح الحادي عشر، والعددِ الخامسِ والعِشرينَ، وقالَ لها:

''...أنا هو القيامَةُ والحياةُ. مَنْ آمَنَ بي ولَوْ ماتَ فسيَحيا''.

فما يقولُه يسوعُ هو إنَّ هناكَ حياةً بَعدَ الْمَوتِ، وستكونُ حياةً مَعَه لكلِّ مَن يؤمنُ به. أي أنَّ الحياةَ ستَستمرُّ لكنْ في بُعدٍ آخَرَ، يختَبِرُ فيه الإنسانُ تحوُّلًا من نوع ما، حيث يُنقَضُ بَيتُ خَيمَتِه الأرضيِّ، أي جسَدُه، لينتَقِلَ إلى بناءٍ أبديٍّ من اللهِ في السَّماء، ليسَ مَصْنوعًا بأَيْدي النَّاسِ. ونقرأُ هذا في رسالةِ بولسَ الرَّسولِ الثانية إلى أهلِ كورِنثوسَ الأصحاح الخامسِ والعددَينِ الأوَّل والثاني، وجاءَ فيهِما:

''لأنَّنا نَعلَمُ أنَّهُ إنْ نُقِضَ بَيتُ خَيمَتِنا الأرضيُّ، فلَنا في السماواتِ بناءٌ مِنَ اللهِ، بَيتٌ غَيرُ مَصنوع بيَدٍ، أبديٌّ. فإنَّنا في هذِهِ أيضًا نَئنُّ مُشتاقينَ إلَى أنْ نَلبَسَ فوقَها مَسكَنَنا الذي مِنَ السماءِ''.

بعدَ ذلِك يقولُ بولسُ الرَّسولُ في الأصحاح نفسِه والعَدَدَينِ السابِع والثامِنِ:

''لأنَّنا بالإيمانِ نَسلُكُ لا بالعِيانِ. فنَثِقُ ونُسَرُّ بالأولَى أنْ نَتَغَرَّبَ عن الجَسَدِ ونَستَوْطِنَ عِندَ الرَّبِّ''.

إذًا حينَما يموتُ الإنسانُ المؤمنُ بيسوعَ المسيح، فإنَّه يستمرُّ في الحَياةِ ما بَعدَ الموتِ، لكنْ بهيئةٍ مختلفةٍ ليكونَ في مَحضرِ اللهِ المجيدِ.

بعدَ ذلك السؤالِ عن حياةِ الإنسانِ، يعودُ أيُّوبُ إلى نَبْرَةِ اليأسِ في العددِ الرابعَ عشرَ من الأصحاح الرابعَ عشرَ، وجاءَ فيه:

''كُلَّ أيَّامِ جِهادي أصبِرُ إلَى أنْ يأتيَ بَدَلي''.

ويقولُ أيُّوبُ هنا إنَّه سيُجاهِدُ كلَّ أيَّامِهِ إلى أن يُعفى من مُهِمَّةِ الجِهادِ، وذلك لدى مَوتِه.

ونواصِلُ تأمُّلاتِنا في كلماتِ أيُّوبَ في الأعدادِ منَ الخامِسَ عشرَ إلى الثاني والعِشرينَ من الأصحاح الرابعَ عشرَ، ونَقرأُ فيها:

''تدعو فأنا أُجيبُكَ. تشتاقُ إلَى عَمَلِ يَدِكَ. أمَّا الآنَ فتُحصي خَطَواتي، ألَا تُحافِظُ علَى خَطيَّتي! مَعصِيَتي مَختومٌ علَيها في صُرَّةٍ، وتُلَفِّقُ علَيَّ فوقَ إثمي. إنَّ الجَبَلَ السَّاقِطَ يَنتَثِرُ، والصَّخرَ يُزَحزَحُ مِنْ مَكانِهِ. الحِجارَةُ تَبْلِيها المياهُ وتَجرُفُ سُيولُها تُرابَ الأرضِ، وكذلكَ أنتَ تُبيدُ رَجاءَ الإنسانِ. تتَجَبَّرُ علَيهِ أبدًا فيَذهَبُ. تُغَيِّرُ وجهَهُ وتَطرُدُهُ. يُكرَمُ بَنوهُ ولا يَعلَمُ، أو يَصغُرونَ ولا يَفهَمُ بهِمْ. إنَّما علَى ذاتِهِ يتَوَجَّعُ لَحمُهُ وعلَى ذاتِها تنوحُ نَفسُهُ''.

بعدَ ذلكَ عادَ أليفازُ إلى التحدُّثِ للمرَّة الثَّانِيَةِ، بعدَ أن كانَ أوَّلَ أصحابِ أيُّوبِ الذين تكلَّموا. وهنا قالَ أليفازُ إنَّه أكبَرُ سنًّا من أيُّوبَ وأكثَرُ خِبرةً منه، لذا على أيُّوبَ أن يُصغِيَ إليه. ويقولُ أليفازُ في الأعدادِ من الأوَّلِ إلى الحادي عشَر من الأصحاح الخامسَ عشرَ:

''فأجابَ أليفازُ التَّيمانيُّ وقالَ: ألَعَلَّ الحَكيمَ يُجيبُ عن مَعرِفَةٍ باطِلَةٍ، ويَملأُ بَطنَهُ مِنْ ريحِ شَرقيَّةٍ، فيَحتَجَّ بكلامٍ لا يُفيدُ، وبأحاديثَ لا يَنتَفِعُ بها؟ أمَّا أنتَ فتُنافي المَخافَةَ، وتُناقِضُ التَّقوَى لَدَى اللهِ. لأنَّ فمَكَ يُذيعُ إثمَكَ، وتَختارُ لسانَ المُحتالينَ. إنَّ فمَكَ يَستَذنِبُكَ، لا أنا، وشَفَتاكَ تشهَدانِ علَيكَ. أصوِّرتَ أوَّلَ النَّاسِ أم أُبدِئتَ قَبلَ التِّلالِ؟ هَلْ تنَصَّتَّ في مَجلِسِ اللهِ، أو قَصَرتَ الحِكمَةَ علَى نَفسِكَ؟ ماذا تعرِفُهُ ولا نَعرِفُهُ نَحنُ؟

وماذا تفهَمُ وليس هو عِندَنا؟ عِندَنا الشَّيخُ والأشيَبُ، أكبَرُ أيَّامًا مِنْ أبيكَ. أقَليلَةٌ عِندَكَ تعزياتُ اللهِ، والكلامُ معكَ بالرِّفقِ؟''.

بدايةً وَصَفَ أليفازُ أيُّوبَ بأنَّه مملوءٌ رِيحًا، أي أنَّ حِكمَتَه فارغةٌ. ثمَّ ذَكَرَ أليفازُ أنَّ الأصحابَ الثلاثةَ كانوا يُسدُونَ إليه بالنَّصيحةِ، لكنَّ أيُّوبَ لم يستَطِعْ أن يَرى تعزياتِ اللهِ في كلامِهِمْ معَه بالرِّفْقِ.

ونتابِعُ الآنَ كلماتِ أليفازَ في الأعدادِ من الثاني عشرَ إلى الثامِنَ عشَر من الأصحاح الخامسَ عشَر، وجاء فيها:

''لماذا يأخُذُكَ قَلبُكَ؟ ولِماذا تختَلِجُ عَيناكَ حتَّى ترُدَّ علَى اللهِ وتُخرِجَ مِنْ فيكَ أقوالًا؟ مَنْ هو الإنسانُ حتَّى يَزكوَ، أو مَوْلودُ المَرأةِ حتَّى يتَبَرَّرَ؟ هوذا قِدِّيسوهُ لا يأتَمِنُهُمْ، والسماواتُ غَيرُ طاهِرَةٍ بعَينَيهِ، فبالحَريِّ مَكروهٌ وفاسِدٌ الإنسانُ الشَّارِبُ الإثمَ كالماءِ! أوحِيَ إلَيكَ، اسمَعْ لي فأُحَدِّثَ بما رأيتُهُ، ما أخبَرَ بهِ حُكَماءُ عن آبائِهِمْ فلَمْ يَكتُموهُ''.

ويتساءَلُ أليفازُ هنا عن الخطايا التي يتَغاضى أيُّوبُ عنها، ثمَّ يشارِكُ أيُّوبَ قائلًا إنَّ الحِكمةَ التي علَّمها لأيُّوبَ متوارَثةٌ بالتَّقاليدِ أبًا عن جدٍّ.

ونواصِلُ تأمُّلاتِنا في ردِّ أليفازَ على أيُّوبَ في الأعدادِ من التاسِعَ عشرَ إلى الخامسِ والثلاثينَ من الأصحاح الخامِسَ عشرَ، ونقرأ فيها:

''الذينَ لهُمْ وَحْدَهُمْ أُعطيَتِ الأرضُ، ولَمْ يَعبُرْ بَينَهُمْ غَريبٌ. الشِّرِّيرُ هو يتَلَوَّى كُلَّ أيَّامِهِ، وكُلَّ عَدَدِ السِّنينَ المَعدودَةِ للعاتي. صوتُ رُعوبٍ في أُذُنَيهِ. في ساعَةِ سَلامٍ يأتيهِ المُخَرِّبُ. لا يأمُلُ الرُّجوعَ مِنَ الظُّلمَةِ، وهو مُرتَقَبٌ للسَّيفِ. تائهٌ هو لأجلِ الخُبزِ حَيثُما يَجِدهُ، ويَعلَمُ أنَّ يومَ الظُّلمَةِ مُهَيَّأٌ بَينَ يَدَيهِ. يُرهِبُهُ الضُّرُّ والضَّيقُ. يتَجَبَّرانِ علَيهِ كمَلِكٍ مُستَعِدٍّ للوَغَى. لأنَّهُ مَدَّ علَى اللهِ يَدَهُ، وعلَى القديرِ تجَبَّرَ عادِيًا علَيهِ، مُتَصَلِّبُ العُنُقِ

بأوقافِ مَجانِّهِ مُعَبَّأةً. لأنَّهُ قد كَسَا وَجْهَهُ سَمْنًا، ورَبَّى شَحمًا علَى كِلْيَتَيهِ، فيَسكُنُ مُدُنًا خَرِبَةً، بُيوتًا غَيرَ مَسْكونَةٍ عَتيدَةً أنْ تَصيرَ رُجَمًا. لا يَستَغْني، ولا تثبُتُ ثَروَتُهُ، ولا يَمتَدُّ في الأرضِ مُقتَناهُ. لا تزولُ عنهُ الظُّلمَةُ. خَراعيبُهُ تُيَبِّسُها السُّمومُ، وبنَفخَةِ فمِهِ يَزولُ. لا يتَّكِلْ علَى السُّوءِ. يَضِلُّ. لأنَّ السُّوءَ يكونُ أُجرَتَهُ. قَبلَ يومِهِ يُتَوَفَّى، وسَعَفُهُ لا يَخضَرُّ. يُساقِطُ كالجَفنَةِ حِصرِمَهُ، ويَنثُرُ كالزَّيتونِ زَهرُهُ. لأنَّ جَماعَةَ الفُجَّارِ عاقِرٌ، والنَّارُ تأكُلُ خِيامَ الرَّشوَةِ. حَبِلَ شَقاوَةً ووَلَدَ إثمًا، وبَطنُهُ أنشأَ غِشًّا''.

وهُنا يؤكِّدُ أليفازُ لأيُّوبَ أنَّ كلَّ مَن يختَبِرُ الألَمَ هو دون شَكٍّ شخصٌ شرِّيرٌ. وكلُّ شخص يتعرَّضُ للوَيلاتِ والدَّمارِ هو بالتَّأكيدِ إنسانٌ مُذنِبٌ وآثامُه كثيرة.

ويتابِعُ أَليفازُ تأكيداتِه لأَيُّوبَ أنَّه يخْدَعُ نفسَه، ويتَّكِلُ على الباطِلِ والسُّوءِ، لذلك لن يكونَ سوى السُّوءِ أجرتُه. فمِنَ الواضِح أنَّ أليفازَ كانَ يوجِّهُ اتِّهاماتٍ إلى أيُّوبَ بأنَّه كاذِبٌ ومنافِقٌ ومخادِعٌ وشرِّيرٌ؛ لذا فكلُّ ما يحدُثُ له هو نتيجةُ شرِّه دونَ أدنى شكٍّ.

لنَنتَقِلِ الآنَ إلى الأصحاح السادِسَ عشرَ والأعدادِ الأربَعةِ الأُولى مِنْه، حيثُ نجِدُ ردَّ أيُّوبَ، وجاءَ فيها:

''فَأَجَابَ أَيُّوبُ وَقَالَ: قَدْ سَمِعْتُ كَثِيرًا مِثْلَ هَذَا. مُعَزُّونَ مُتْعِبُونَ كُلُّكُمْ! هَلْ مِنْ نِهَايَةٍ لِكَلَامٍ فَارِغٍ؟ أَوْ مَاذَا يُهَيِّجُكَ حَتَّى تُجَاوِبَ؟ أَنَا أَيْضًا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَكَلَّمَ مِثْلَكُمْ، لَوْ كَانَتْ أَنْفُسُكُمْ مَكَانَ نَفْسِي، وَأَنْ أَسْرُدَ عَلَيْكُمْ أَقْوَالًا وَأُنْغِضَ رَأْسِي إِلَيْكُمْ''.

إذا تَصَوَّرْنا حواراتِهِم بعضِهِم معَ بعض، لوَجَدْنا أنَّهُم يَهُزُّونَ رؤوسَهُم، ويَصرُخونَ بعضُهُم على بَعْض. لذلك يقولُ أيُّوبُ لَهُم إنَّه يستطيعُ أن يتكلَّمَ مِثْلَهُمْ لو كانوا في مكانِه.

ويقولُ بعدَ ذلك في الأعدادِ من الخامسِ إلى التاسِع من الأصحاح السادِسَ عشرَ:

''بَلْ كُنْتُ أُشَدِّدُكُمْ بِفَمِي، وَتَعْزِيَةُ شَفَتَيَّ تُمْسِكُكُمْ. إِنْ تَكَلَّمْتُ لَمْ تَمْتَنِعْ كَآبَتِي، وَإِنْ سَكَتُّ فَمَاذَا يَذْهَبُ عَنِّي؟ إِنَّهُ الْآنَ ضَجَّرَنِي. خَرَّبْتَ كُلَّ جَمَاعَتِي. قَبَضْتَ عَلَيَّ. وُجِدَ شَاهِدٌ. قَامَ عَلَيَّ هُزَالِي يُجَاوِبُ فِي وَجْهِي. غَضَبُهُ افْتَرَسَنِي واضْطَهَدَنِي. حَرَقَ عَلَيَّ أَسْنَانَهُ. عَدُوِّي يُحَدِّدُ عَيْنَيْهِ عَلَيَّ''.

يقولُ أيُّوبُ لهم إنَّ كلامَهُم لا ينفَعُه بتاتًا، لذلك كانوا يتحدَّثونَ إلي صاحبِهِم بينَما يضغطونَ أسنانَهُم، وينظُرونَ إليه بِحِدَّةٍ، ويَصرُخونَ في وجهِه. فلا بدَّ أنَّ تعامُلَهُم معَ أيُّوبَ اتَّسَمَ بالشِّدَّةِ.

ونواصِلُ تأمُّلاتِنا في رَدِّ أيُّوبَ في الأعدادِ من العاشِرِ إلى التاسِعَ عشرَ من الأصحاح السادسَ عشرَ، ونقرأُ فيها:

''فَغَروا عَلَيَّ أفواهَهُمْ. لَطَموني علَى فَكِّي تعييرًا. تعاوَنوا علَيَّ جميعًا. دَفَعَنِيَ اللهُ إلَى الظَّالِمِ، وفي أيدي الأشرارِ طَرَحَني. كُنتُ مُستَريحًا فزَعزَعَني، وأمسَكَ بقَفايَ فحَطَّمَني، ونَصَبَني لهُ غَرَضًا. أحاطَتْ بي رُماتُهُ. شَقَّ كُليَتَيَّ ولَمْ يُشفِقْ. سَفَكَ مَرارَتي علَى الأرضِ. يَقتَحِمُني اقتِحامًا علَى اقتِحامٍ. يَعدو علَيَّ كجَبَّارٍ. خِطْتُ مِسْحًا علَى جِلدي، ودَسَستُ في التُّرابِ قَرني. احمَرَّ وَجْهي مِنَ البُكاءِ، وعلَى هُدْبي ظِلُّ المَوتِ. مع أنَّهُ لا ظُلمَ في يَدي، وصَلاتي خالِصَةٌ. يا أرضُ لا تُغَطِّي دَمي، ولا يَكُنْ مَكانٌ لصُراخي. أيضًا الآنَ هوذا في السَّماواتِ شَهيدي، وشاهِدي في الأعالي''.

يتوجَّه أيُّوبُ هنا من جديدٍ، مستَمِعيَّ الكِرام، بحَديثِه إلى اللهِ المجيدِ. ويقولُ إنَّ اللهَ شَهيده، أي أنَّ الربَّ شاهِدٌ على ما يقولُه أيُّوبُ ويفعلُه. ويؤكِّدُ أنَّ سِجلَّاتِه مفتوحةٌ أمامَ اللهِ ربِّ السَّماءِ. كما يُعلِنُ أيُّوبُ أنَّه لن يحاوِلَ حتَّى أنْ يُبرِّرَ نفسَه أمامَ أصحابِه؛ لأنَّ اللهَ القدُّوسَ يَعرِفَ الحقيقةِ كلَّها.

أحيانًا يُسيءُ الآخرونَ فَهمَنا، أو يَقرَأُونَ دوافِعَنا بصورةٍ خاطئةٍ أو لا يُحسِنونَ قراءةَ أفكارِنا، أو يتَّهِمونَنا بأمورٍ نحن بريئونَ منها تمامًا، أو يَنْسِبونَ إلَينا دوافِعَ شرِّيرةً لَيسَتْ

فينا في واقع الأمرِ. إلَّا أنَّ المُطَمْئِنَ هو أنَّ اللهَ العليَّ شاهِدٌ علَينا ويعلَمُ دوافِعَنا وأفعالَنا، كما يعرِفُ الحقَّ عنَّا. وما يشجِّعُ في الحقيقةِ هو أنَّ اللهَ القَديرَ يحتَفِظُ بسجِلَّاتٍ عنَّا، ويعرِفُ ما في قُلوبِنا وحَياتِنا.

ونتابِعُ آخِرَ كلِماتِ أيُّوبَ في الأعدادِ من العِشرينَ إلى الثاني والعِشرينَ من الأصحاح السادس عشرَ، وجاءَ فيها:

''المُستَهزِئونَ بي هُم أصحابي. للهِ تقطُرُ عَيني لكَيْ يُحاكِمَ الإنسانَ عِندَ اللهِ كابنِ آدَمَ لَدَى صاحِبِهِ. إذا مَضَتْ سِنونَ قَليلَةٌ أسلُكُ في طَريقٍ لا أعودُ مِنها''.

والمُستَغرَبُ هنا، مستمِعيَّ الأعزَّاء، أنَّ أصحابَ أيُّوبَ لم يتشفَّعوا بالصَّلاةِ لأجلِ صاحِبِهِم الذي يعاني المَشَقَّاتِ والويلاتِ، بل راحوا يُوَجِّهونَ إليه الكثيرَ من الاتِّهاماتِ الباطلةِ.

الخاتمة

(مقدِّمُ البرنامَج)

في حَلَقةِ اليومِ من برنامَجِنا، رأينا كيفَ تعلَّمَ أيُّوبُ دَرْسًا قيِّمًا رُغمَ صُعوبَتِه. وفَحوى الدَّرسِ هو أنَّ الإنسانَ يَمُرُّ بأوقاتٍ لا يَجِدُ فيها الأشخاصَ الذين عادةً ما يتَّكِلُ علَيهِمْ. وفي السِّياقِ نفسِه، قالَت كوري تن بوم (Corrie Ten Boom): ''لن تعرفَ بتاتًا أنَّ اللهَ العليَّ هو كلُّ ما تحتاجُ إليه إلَّا حينَما يَصيرُ الربُّ هو كلَّ ما لدَيكَ''. فَكَمْ هي كَلِماتٌ مُشَجِّعةٌ ينبَغي أن نتذكَّرَها بَينَما نخوضُ في تجارِبِ الحَياةِ.

في الحَلَقةِ المُقبِلةِ من برنامَج ''الكلمةُ لِهذا اليوم''، سوف يتناوَلُ القسُّ تشَك كلماتِ أيُّوبَ بَينَما يَلْجأ من جَديدٍ إلى رَفْع صَلَواتِه إلى اللهِ العليِّ.

كلمةٌ ختاميَّة

(الراعي تشَك سميث)

صلاتُنا لأجلكَ، عزيزي المستَمِع، أن تُدرِكَ مدى احتياجِكَ الدائمَ إلى اللهِ المجيدِ، الذي في يَدِه نَسْمَتُنا. ونصلِّي أيضًا أن يُسدِّدَ الربُّ كلَّ احتياجاتِكَ بَينما تتَّكلُ عليه، ونصلِّي أن يَمُدَّ الربُّ المحبُّ يدَه بالشِّفاءِ إلى كلِّ مستَمِع يرفَعُ طلبةَ شِفاءٍ مؤمِنًا بتدخُّلاتِ اللهِ العجيبةِ. ونصلِّي أخيرًا أن يباركَ الربُّ بملءِ الخيرِ عملَ يدَيكَ وأهلَ بَيتِكِ. بِاسْمِ يسوعَ المسيح نصلِّي. آمين!